

### (٣) قوة التغيير

(إذا أردت أن تخلق لك

الأعداء، فحاول تغيير شيء قائم)

الفيلسوف الكبير (هوارس)

جلُّ البشر يخشون من التغيير، الغالب الأعم منهم يريد أن يبقى الحال على ما هو عليه، حتى وإن تمنى البعض التغيير وردد أنه يطمح إليه، تجده أضعف الناس في اتخاذ قرار أو القيام بمبادرة إيجابية نحو التغيير للأفضل.

إن التغيير أحد أهم سلوكيات  
القادة والناجحين، ففي وقت ما من  
حياتك ستجد أنك مُطالب  
بالقيام بتغيير هام . وقد يكون  
عاجلاً . من أجل إنقاذ مستقبلك،  
ووضعه على الطريق الصحيح.

يقول المفكر الفرنسي جان جاك روسو: (إن لكل إنسان الحق في أن يغامر بحياته في محاولة منه لإنقاذها).

فما الذي يمنعنا من القيام بتلك الرحلة، وشد الرحال إلى أرض التغيير والتجديد؟

هناك سبب هام ورئيسي يجعل المرء منا ينجح إلى السكون وعدم التغيير وهو الخوف! نعم الخوف من المجهول، فربما كان القادم على غير ما نتوقع أو نأمل ونطمح، إن طبيعتنا البشرية تحب السكون والهدوء والسكينة، وتأبى التغيير وترفضه، كلنا نحب أن نسكن في تلك المنطقة المسماة (منطقة الراحة والتبدل) والتي توفر لنا - حسب زعمنا - هدوء وأمان أكثر، وهذا لو ندري خطأ كبير، إن استمرار حياتنا على وتيرة واحدة بدء من مولدنا وحتى وفاتنا هو قتل للطموح والهمة، ووئد للكفاح والارتقاء بداخلنا، والتغيير سنة كونية، فلا شيء يثبت على حاله، فالكل يتبدل ويتغير.

إنَّ أحد العوامل الجوهرية المؤثرة في فعالية القادة هو إتقانهم للتغيير، فالقائد الناجح هو الذي يبدأ التغيير ولا يتجنبه، ويتعامل بمرونة كبيرة مع رياح التغييرات التي تهب عليه، ويكون قادرًا على تعديل شراع مؤسسته ليتوافق مع مستجدات الحياة.

## لماذا نكره التغيير؟!

- عصفور في اليد خير من عشر على الشجرة.
- الباب الذي ستأتيك منه الرياح أغلقه واسترح.
- الله لا يغير الحال.

هذه الأمثال الشعبية وغيرها كثير أحد أهم أسباب بغضنا للتغيير ورهبتنا منه، فالبيئة التي تربي أبنائها على أن الوضع القائم هو الأفضل، وأنه ليس في الإمكان أفضل مما كان، هي بيئة فاشلة، وتنجب أشخاص لا يحركون ساكنًا.

الرسول ﷺ كان يهيب بالمسلم أن يكون إيجابيًا طالبًا للتغيير، ولا يرضخ للوضع القائم مهما كان قويًا أو صلبًا، فنراه يقول ﷺ: «لا يكن أحدكم إمعة، يقول: أنا مع الناس إن أحسن الناس أحسنت، وإن أساءوا أسأت».

فهو ﷺ يزرع في نفس المسلم التمرد على الأوضاع الغير مقبولة، ويطلبه بتغيير ما لا يرضاه.. ومن فوره وبلا إبطاء.

بيد أن هناك ٥ موانع رئيسية تقف أمام رغبات المرء الذي يود تغيير أمر ما، وهي:

(١) **الشك**: وأقصد بها عدم إيمانه بالفوائد التي ستعود عليه من جراء التغيير، لذا نراه دائماً يردد: (لقد حاولت من قبل ولم أرى النتيجة المرجوة)، أو (لا أعتقد أن هناك ثمة فائدة مرجوة من هذا الأمر).

(٢) **الخوف من المخاطرة**: فالتغيير يستلزم نوعاً من المخاطرة، وارتداد أرض مجهولة، والشخص المتردد نراه دائماً يستحضر كم الخسائر التي يمكن أن يجربها عليه التغيير، ولا يلتفت إلى قدر الخسائر التي ستعود عليه إذا لم يبدأ التغيير، وما أروع مقالة جون كيندي: (إن أي برنامج عمل ينطوي على كثير من المخاطر والتكاليف، لكنها أقل بكثير من المخاطر التي سوف تنجم من الأعمال المريحة السهلة).

(٣) **الروتين والتعود**: فالشخص الذي ظل سنين عدداً يقوم بالعمل بطريقة ما، يجد صعوبة في تغيير هذا الروتين، والعادات المتأصلة تعد من أصعب العقبات التي تقف أمام المرء الذي يرغب في التغيير.

(٤) **الرغبة والخوف:** الخوف ما لم يمنعنا عن اتخاذ

الخطوات الفعالة فلا بأس به، فالخوف شعور طبيعي،  
لكن أن يكون الخوف عاملاً مسيطراً على حياتنا، ويمنعنا  
من اتخاذ خطوات التغيير المرجوة، فهنا تكمن المشكلة.

(٥) **الاعتراض الاجتماعي:** كثير من القادة والمديرين

أوقفهم خوفهم من رفض المحيطين بهم لفكرة ما، عن  
المضي قدماً نحو تحقيق هذه الفكرة، فاستهجان المحيطين  
بنا لأمر ما يجعلنا في رهبة عن طرح هذا الأمر، وخوفنا  
من صيحات الاعتراض يمنعنا من عمل التغيير  
المطلوب.

كيف يمكنني تقبل التغيير والتعامل معه بمرونة؟

إليك ٥ عوامل هامة  
تجعلك أكثر التغير شيئاً  
مرحباً به، ومقبولاً لديك :

(١) اجعل التغيير منهج حياة: تمرد دائماً على الروتين

والأوضاع القائمة التي ترى أن تغييرها شيء حسن، حاول أن تعود عقلك على كسر المألوف وحب التغيير والتفكير بشكل مختلف.



إذا كنت رئيسًا في العمل، أو مسئولاً عن أسرة، أو تقود فريق عمل فحاول دائماً أن تغرث فيهم حب الإبداع والتغيير المستمر.

٢) **كن متحرراً:** كثيراً ما أسئل عن الوقت المناسب كي يغير المرء وظيفته، ودائماً ما يكون جوابي هو:

- عندما لا تجد تحدي، وتجد أنك تمارس عملك بيسر وسهولة بالغتين، عندما تكون قادراً على إجابة أي سؤال، وحل أي معضلة، حينها يجب أن تبحث عن تحد جديد!!
  - عندما تصبح أكثر انتقاداً لأحوال العمل، أكثر تمرداً على النظم والقوانين التي تحكمك.
  - عندما تشعر بكسل وعدم رغبة للذهاب إلى مقر عملك.
  - عندما يكون الذهاب لي مكان أفضل من الذهاب للعمل.
- هذا المثال من الممكن تعميمه على حياتك بأكملها، فإذا ما

فقدت الحافز والرغبة، أو أصبحت حياتك روتينًا بحثًا لا إبداع فيه ولا تميز، فالوقت قد حان للتجديد والتغيير والإبداع. عندما تغرس بداخلك هذا المعنى، فستبدأ في الشعور بحتمية التغيير وأهميته لديك.

(٣) **غير حتى الأثاث:** نعم، حتى الأثاث من حولك دعه لا يبقى على حال واحدة طويلًا، غير من أماكنه وترتيبه، حاول دائمًا إضافة لمسة مختلفة في كل مرة. إذا كنت تدير فريق عمل، فكيف تجعله يقبل بالتغيير الذي تريده؟

عليك أن تنتبه جيدًا عند  
إحداث تغيير في بيئة عمل إلى  
النقاط العشر الآتية:

- ١- ضع خطة مفصلة ودقيقة للشيء الذي تود تغييره.
- ٢- ضع إطارًا زمنيًا لها.
- ٣- ضع شرحًا وافيًا للخطة بطريقة واضحة ومفهومة.
- ٤- اعرض هذا الشرح بطريقة إيجابية وحماسية.
- ٥- وضح ما سيحدث من تغيير، وبيّن أثره على المؤسسة.

٦- توقع الاعتراضات التي تتوقعها، وجَهِّز ردًّا عمليًّا عليها.

٧- لا تنفعل، تقبل كل الآراء مهما كانت صادمة لك.

٨- تحمل المسؤولية أيا ما كانت النتائج.

٩- كن مرنًا في تعديل خطتك، وغيِّرها إذا ما بيَّن لك أحدهم

خللاً فيها.

١٠- اشكر الجميع، من تقبل الخطأ منهم ومن عارضها.

### وفي الأخير أقول:

التغيير أمر لا يميل إليه  
الكثير من بني البشر، يرهبه  
معظم الناس، ولا يقوم به إلا فئة  
قليلة من أصحاب الشجاعة  
والقوة.



لكننا يجب أن ندرك جيدًا أن جميع إنجازات البشرية ما كانت

لتصبح واقعًا ملموسًا إلا بجرأة وشجاعة في التغيير، ونهوض

بأهمة وكسر للنمطية والتقليد السائدين.



ولك أن تختار وتقرر بين أن تكون شخص عادي يمنح  
للمنطقة الهادئة الساكنة، أو شخص فعال يبادر بتغيير ما لا يراه  
مناسباً له.

\*\*\*

## قالوا عن التغيير..

الشيء الوحيد الثابت هو التغيير المستمر.

هيراقليطس

\*\*\*

التقدم مستحيل بدون تغيير، وأولئك الذين لا يستطيعون تغيير عقولهم لا يستطيعون تغيير أي شيء.

جورج برنارد شو

\*\*\*

علينا أن نكون نحن التغيير الذي نود رؤيته في العالم.

غاندي

\*\*\*

الضروري لتغيير إنسان هو أن تغير فكرته عن نفسه.

إبراهيم ماسلو

مهما كانت حياتك قاسية، تعايش معها: لا تلعنها أو  
تسبها.. ازرع الفقر مثل الحشائش في الحدائق، لا تنشغل  
بمحاولة الحصول على أشياء جديدة.. فالأشياء لا تتغير،  
بل نحن من يتغير.

هنري دافيد ثورو

\*\*\*

التغيير شيء، والتطوير شيء آخر... التغيير علمي أما  
التطوير فأخلاقي؛ التطوير لا خلاف فيه، أما التطوير  
فموضوع جدل.

برتراند راسل

\*\*\*

التغيير هو الثابت، وهو إشارة النهضة، وهو بيضة  
العنقاء.

كريستينا بالدوين

\*\*\*

التغيير عنيد كالزمن، ومع هذا فلا شيء يقابل  
بالمقاومة أكثر منه.

بنيامين دزرائيلي

لا يستطيع الرجل تغيير نفسه بدون ألم... فهو نفسه  
الرخام، وهو نفسه النحات.

أكسيس كاريل

\*\*\*

مشكلتنا أننا نكره التغيير ونحبّه في نفس الوقت؛ فكل  
ما نريده هو أن تظل الأشياء كما هي، ولكن تكون أفضل.  
سيدني هاريس

\*\*\*

تأمل في مدى صعوبة أن تغير نفسك وسوف تفهم  
فرص نجاحك في تغيير الآخرين.  
جاكوب بروود

\*\*\*

وقتما تجد نفسك في صف الأغلبية، فقد حان وقت  
التغيير.

مارك توين

\*\*\*

يجب أن نطوّر ونغيّر ونجدد دائماً من أنفسنا، وإلا  
تحجرنا.

جوهان ولفجانج فون جوته

لأن الأشياء على حالها.. فإن الأشياء لن تظل على  
حالتها.

برتولت برشت

\*\*\*

الأمر ليس أن بعض الناس يمتلكون الإرادة وآخرون لا  
يملكونها... بل إن البعض مستعدون للتغيير والآخرون لا..

جيمس جوردون

\*\*\*